البحث الثالث

الناصورثا (الإيمان)[1]

وتعني التبحر في علوم الدين والفلسفة المندائية، وهذه الفلسفة عميقة الجذور، وتعتبر علوم الحقيقة الكامنة والمعرفة اللامتناهية، وكلمات الحق والصدق الأسمى؛ جلبتا من كنز عوالم النور الأزلية وفتحت للنشمثا التي أولجت في الجسد المادي عندما تمَّ خلقه، لتكون له السلاح النوراني الذي يقاوم الشر والظلام في ألمه دهشوخة (عالم الأرض).

النشمثا أساس الناصورثا وهي جوهرها ولها، إنها علوم أزلية موجودة بوجود الحي العظيم ومتسربلة بأشعتها وأضويتها الذاتية في سكينة تامة، وعندما يحين موعد خلق الأجساد الآدمية عند الصيرورة يرفع النداء لمناداة الناصورثا بالدعاء والتسبيح عاليًا ليصل إلى عالم الأنوار إلى كنوز النور وبأمر من ملك النور السامي تنطلق الناصورثا وتتمدد ملئ الأكوان عابرة الزمان والمكان لاحتضان النشمثا (النفس) واحتوائها في جسد الطين الفاني لتدب فيه الحياة، ومن هنا بدأت الناصروثا رحلتها إلى العالم المادي، وستبقى لحين خروج أخر نشمثا طاهرة من هذا العالم.

حين ذلك يأذن لها الرب بالعودة إلى بيت أبيها الذي جلبت منه، الدموثا الأثيري، فالناصروثا تسهل الطريق لعودة النشماثا إلى عوالم النور السامية، ولهذا يعتبر الدين المندائي الناصروثا سلاحًا عظيمًا أقوى من أي سلاح، فالكنزا ربا توصي المؤمنين أن يسلحوا أنفسهم بالناصروثا وكلمات الحي الصادقة فهي أمضى من الحديد ومن كل الأسلحة، ويوصي المؤمنين بالصبر والتقوى والتسبيح للحي العظيم، ففيه خلاصهم من الظلم والظالمين.

---

[1] – النشمثا أساس الناصروثا لأنها روحانية أمينة صادقة جلت من عالم النور، الناصورثا تعني النشمثا، وتعني الإيمان العميق، والحدس وللإلإؤ والقدرات الإعجازية التي يمنحها الله للصالحين من عباده وخاصة أنبياءه المرسلين.

فإن اعتمد المندائي المؤمن الناصروثا ، يكون قد وصل إلى أعلى درجات الإيمان وهي حالة من الزهد تشبه التصوف ، فهي تعتبر نكران مغريات وملذات الدنيا وشهواتها اللا أخلاقية ، وتعني الصوم الكبير للمندائي بكل تفاصيله ، وبروح طيبة وعقل متفتح مجرد من السيطرة والعبودية لهذا العالم ومن الظالمين والقتلة والفاجرين والزناة ، وهاتكي أعراض الناس الملطخة أيديهم بدماء عباد الله الأبرياء.

ولهذا فالناصروثا تمنح المؤمن تفوق عناصره الإيجابية من حب وعطاء وإيمان وصدق وسلام على عناصره السلبية من غرائز وشهوات وأعمال لا يرضاها الحي العظيم لعباده الصالحين ولا تقرها شرائع ولا نظم ولا أخلاق... وبهذه الناصروثا يستطيع المرء أن يرسم طريق حياته بعيدًا عن الخطيئة وعن غضب الرب ، ويكسب رضا الله والناس الطيبين له.

فالناصروثا وحدها تكفي لديمومة الصابئة المندائيين كجماعة ثابتة وكريمة ومحافظة على جواهرها ونقائها ، لا تخضع لأحكام الزمان والمكان إذ ما أصابها اضطهاد أو قهر وأذى من أشرار هذا العالم ، فمهما عظم الشر واشتد بالناصروثا يمكن الصمود ومقاومة الشر والانتصار عليه ، واعتقد البعض أن الدين المندائي قد يضمحل ويزول فتجده ينبعث من جديد بفعل الأشعة النورانية التي تهبها الناصروثا ، مبشرة أحبابها بالأمل والاطمئنان ، وبالإنقاذ من أي دمار دنيوي ، لأنها متجذرة في النفوس والجذر لابد أن يورق لأنه لا يموت ، لأن النفس لا تموت أبدًا وإنما يموت الجسد.

إن سلالة الناصوراثين قد بدأت بآدم (ع) الذي يعتبر أولى هذه السلالات ، وأن نواة الدين المندائي تكونت في عالم النور ، ونزلت على حكماء أتقياء اجتمعت فيهم كل علوم الناصروثا ، مما جعلهم بالمقدرة الفائقة في البصيرة والتعمق الروحي والتبحر في علوم الدين التي كشفت لديهم الكثير من أسرار النفس والذات ، وأسرار علوم السماء والأرض ، وأن ممارستهم لهذه العلوم السامية

في حياتهم الروحية والعملية فتحت لهم أبواب الاتصال الروحي بين عالمهم المادي والعالم النوراني، مما جعلهم على ثقة واطمئنان بالحياة الثانية الأبدية في عالم الأنوار.

ويطلق اسم ناصوراثيين على رجال الدين الورعين الحكماء الذين يراعون تطبيق وصايا الحي العظيم بدقة وعناية فائقة، لأن رجال الدين يجب أن يفهموا معنى الناصورثا ويطبقوا أحكام الفلسفة المندائية، فهم حكماء ووعاظ وأنقياء بحكم الناصروثا، لقد كان نبي الله يحيى ناصورثيًا وكذلك والده زكريا، كذلك كان المسيح وكل الأنبياء المرسلين من الحي العظيم، ولهذا فإن لكل واحد منهم إعجاز يهبه له رب العالمين كونه ناصوراثيًا حقيقيًا، وكلمة ناصروثا كلمة سامية قديمة تعني الإيمان وتعني الحدس والتنبؤ وهذا معناها في الأكدية وفي البابلية وفي العبرية والعربية، تأتي بمعنى (نصر، نصير).

أما المسيحية فتعني (ناصوراي أو ناصوري) أي نصراني، إن العالم الألماني ماتسوخ أكد أن الناصوراثا كلمة مندائية قديمة وهي دليل قاطع على قِدم الصابئة المندائيين وتمسكهم بإيمانهم بالخالق الأزلي ملك النور السامي وتوحيدهم إياه ولا إله سواه... وهذا النبي سام بن نوح (ع) يبارك الناصوراثيين (مبارك أنت الناصروثا) الذي تعلم منك المختارون...

ومن مواعظ النبي يهيا للناصوراثيين الحقيقيين:

(إذا أصبحت ناصوراثيًا

فكل فضيلة من فضائلك سلاح

يعين باهري الصدق

إنك تعينهم بالإيمان والاستقامة

والمعرفة والحكمة

والتعليم

والرجاء

والصلاة

والتسبيح
والصدقة
والطيبة
والتواضع والإتقان
والرأفة والحنان
والتبصر ومعرفة الحق)

فالناصروثا تعني الإيمان الروحي العميق وهذا الإيمان يعني التوحيد ومعرفة الخالق وتطبيق أحكامه ووصاياه، ملعون وموصوم بالعار:
(كل من لا يعلم أن ربنا هو ملك النور العظيم ملك السماوات والأرض الواحد الأحد).

فالديانة المندائية قامت على مبدأ توحيد الحي العظيم تعظيمه وتقديسه وتمجيده وتسبيحه، إن الدين المندائي وجد مع وجود الإنسان الأول وآدم هو أول الأنبياء وأول الموحدين، ولكن مع هذا نجد كثير من البشر في بادئ الأمر يبني الهياكل والنصب ويصنع التماثيل والأصنام لتكون وسيطًا بينهم وبين الخالق، ولكن بعد مرور زمن نسيت الغاية وصارت الوسيلة هي الغاية، فقد أضحت هذه التماثيل والنصب تتمتع بالقوة المطلقة... لقد نسي هؤلاء الناس أن ما يعظمونه ما هي إلا حجارة صنعوها بأنفسهم ولا تملك ضرًا ولا نفعًا.

وهذا النسيان هو الذي ولد عبادة الأوثان والأصنام[1]، إن سبب ذلك النكوص قد يعود إلى الطبيعة البشرية التي لا تصدق إلا ما تراه وتلمسه، وهذا هو ضعف الناصروثا لدى المؤمنين ولدى الناس، ولهذا أرسل الحي العظيم الأنبياء والرسل ليوضحوا لبني البشر الحقيقة ويحثوا الناس على عبادة الله الواحد الأحد.

---

[1] – العرب أيام الجاهلية جعلوا من الأصنام والنصب وسيلة يتشفعون بها إلى الله، ولكن مع الزمن تحولت إلى غاية وأصبحت تتمتع بالقوة المطلقة، لقد ضعفت الناصروثا لأنهم نسوا الغاية من هذه الواسطة والسبب هو قد يعود إلى الطبيعة البشرية التي لا تؤمن إلا بما تراه وتحسه.

ولكن المندائيون المؤمنون تشبثوا بالنصاروثا وتمسكوا بتوحيد ربٍّ ليس سواه أحد، خلق الأكوان جميعًا وبأمره كان كل شيء، وهو وحده القادر أن ينهيها لحظة أن يشاء، والكنزاربا ودراشة أو يهيا زاخرة بالنصوص والآيات والمواعظ:

(أيها المندائيون لا تسجدوا للأصنام والأوثان ولا تسجدوا للشيطان، فمن فعل ذلك مصيره النار).

(ركبتاي التي سجدت للحي العظيم لن تسجدا للشيطان ولأصنام الزيف، قدماي اللتان سلكتا طريق الحق لن تسلكا دروب البهتان والمعصية).

(أيها الساجدون للحي العظيم إن ذنوبكم وخطاياكم سيغفرها لكم ربكم فتمسكوا بالإيمان).

(كل من يولد يموت وكل ما يضع بالأيدي يفسد إن عكازتكم يوم الحساب أعمالكم التي عليها تتوكأون، فانظروا إلى ماذا تستندون).

(ربنا لك ندعوا، وباسمك نلمع، وبك نسبح، فامنحنا وضوح الرؤيا وسهل لنا أمورنا وهبنا من لدنك هدوء لأنفسنا).

المؤمن بحاجة ماسة للهدوء لأنه سمة من سمات العاقل المؤمن ليكون فكره ومنطقه سليمًا، فلقد وهبنا الحي العظيم العقل، والعقل يحتاج إلى هذا الهدوء لأن من طبع الناصوراثي الهدوء والطمأنينة (السكينة).

* * *

السيدة رمزية عبد الله غندي مندائية مؤمنة إيمان عميق بالدين المندائي، ولها مقالات دينية مرموقة، ومتابعة ممتازة للإصدارات المندائية ولها اقتدار عالي في الفهم والتفسير والمداخلة والتوضيح والشرح الدقيق المفيد...

الناصروثا... علوم الفلسفة المندائية :

مبارك هو صوت الحي وممجد الشعاع العظيم الذي كله ضياء (كنزا ربا)... تعرف الناصروثا بأنها : علوم التبحر في الدين والفلسفة الروحانية ، عميقة الجذور إلهية حق... علوم الحقيقة الكامنة والمعرفة اللامتناهية وكلمات الحق والصدق الأسمى ، جلبت من كنز عوالم النور وأعطيت للنفس التي دخلت الجسد المادي عند إتمام خلقه لتكون له السلاح النوراني الذي به سوف يقاوم الشر والظلام القابع في العالم الفاني (آلما اد تيبل) العالم الأرضي ، وهي علوم أزلية موجودة بوجود سيد العظمة (الحي العظيم ، هيي قدمايي) ، متسربلة بأشعتها وأضويتها الذاتية في سكينة تامة ، لم يحن الموعد بعد لتخرج من سكينتها ، لأن الآدميين لم يخلقوا بعد لاحتوائها...

وعندما حان موعد خلق الآدميين نادوا على (الناصروثا) ، فارتفع النداء (بالدعاء والتسبيح) عاليًا ليصل الكون الذي هو فوق جميع الأكوان ، وإلى العالم الذي هو فوق جميع العوالم ، يصل إلى كنوز النور ، وبأمر سيد كنوز عوالم النور (هي قدمايي ، الحي العظيم) ، انطلقت الناصروثا وتمددت ملئ الأكوان والعوالم عابرة الزمان والمكان لاحتضان النفس (النشمثا) ، وبالتالي احتواءها جسد الطين الفاني. من هنا بدأت رحلة (علوم الناصروثا) إلى العالم المادي ، وستبقى مع الآدميين لحين خروج أخر نشمثا طاهرة من هذا العالم ، حين ذلك يأذن (الرب الله العظيم) لها بالعودة إلى بيت أبيها الذي جُلبت منه ، الناصروثا طريق سهل وطيب لعودة النفس الطاهرة (نشمثا) إلى عوالم النور السامية.

هذا مقطع من نص ديني للكتاب المقدس (الكنزا ربا) الأيمن ، عن هبوط (نشمثا) في الجسد :

باسم الحي العظيم

(أنا نشمثا تحدثت إلى الأثري إخواني وقلت لهم :

ماذا إقترفت من إثم، حتى أخويتموني وازحتموني من بينكم.

أخذتموني من مسكني أسيرة وأغويتموني وأزحتموني من بيت أبي.
وأخذ كل واحد منهم يتحدث إليها :
يا نشمثا الحياة المنتصرة ، يا رسولة كل النيرات
يا نشمثا الحياة الطاهرة ، ففي واذهبي هناك
وادخلي الجسد وابقي مقيدة في القصر "الجسد"
ومن خلالك سيُقيد الأسد الهائج، وسيقتل الشرير في مكانه
ومن خلالك سيقيد ملك الظلام...
وتجيبه نشمثا وتتحدث إلى منداهيي :
أيها الصالح ، رسول النور
إذا أردت مني أن اذهب إلى هناك
وأدخل في الجسد ، وأبقى أسيرة فيه
فاعطني إذن سلاحًا ساميًا ، لأبعد عني (الأشرار).
وأجابها منداهيي :
ما هو السلاح السامي الذي تريدينه يا نشمثا ،
حتى نجلبه لك من كنز الحياة ؟
سلاحُك هو (ناصروثا) ، وكلمات الصدق التي جاءت
إليك من موطن النور.
وهنا قالت نشمثا :
باسم (الحي العظيم) ، وبعون (منداهيي)
ذهبتُ إلى هناك ودخلت الجسد.
ذهبتُ إلى هناك ودخلتُ الجسد ، وجعلت ذاتي أسيرة فيه.
ومن اليوم الذي دخلتُ فيه الجسد ، كنت قرينته على مرْ الدهور.
قرينته كنت على مرْ الدهور ، وكان الأشرار من الأعماق غاضبين عليّ.
ومن وصايا الرب للمؤمنين : (سِّلحوا نفوسكم بأمضى من الحديد... سلاح ناصروثا وكلمات ربكم الصادقة).

يتضح من النص المبارك أعلاه أن (نشمثا – النفس) امتنعت عن الدخول في الجسد وأخذت تشكو وتنوح؛ وهنا ترجو رسول النور (منداهيي) أن يرسل لها (مُخلّصًا) يخلصها بعد الوفاة من الجسد ويرافقها إلى عالم النور؛ والسلاح الذي تحصل عليه (نشمثا) هو (ناصروثا)، إذن أُعطيَ هذا العلم والسلاح الروحاني للآدميين محبة ورأفة إلهية، تعينهم في مكوثهم وخروجهم من العالم الفاني؛لأنه من خلال التعمق بهذا العلم والتبحر بفلسفة اللاهوتية يكون الناصورائي المؤمن قد وصل إلى أعلى درجات التصوف (الزهد في الدُنيا)، ونكرانها ونكران مغرياتها وملذاتها الوقتية المزيفة، لأن فلسفته الروحانية قد فتحت أبواب عقله وفكره وحررته من كل سيطرة وعبودية ممكن أن تلحق به من هذا العالم، بعد أن استطاع تحقيق توازنه المختل، بين طبيعته الإنسانية المادية بما فيها من قوى سالبة المتمثلة بـــ(الغرائز والشهواة والحواس) وبين طبيعته السماوية النورانية المتمثلة بعناصرها الإيجابية ك (الحب والعطاء والإيمان)، واستطاع أن يرسم طريق حياته المثالية التي يحياها في هذا العالم، وطريق حياته هذا سوف يؤدي به إلى الوعي وتفتح طاقاته الباطنية وإمكانياته الإنسانية، كالعمل والنظام والصبر، وبرؤية واضحة تفهم كافة الأمور الحياتية؛ ولنا في قول الحي العظيم طريق ينير بصيرتنا:

باسم الحي العظيم
أحببتُ العدل منذ أحببتك
وأحببتُ الحقِّ منذ أحببتك
منذ يوم عرفتك، عرفت أن الدنيا باطلة
وأن جميع نعمها زائلة.